المحاضرة الثالثة: الدراسات النقدية للكتابات التاريخية في الحضارات القديمة

موضوع "الدراسات النقدية للكتابات التاريخية في الحضارات القديمة" يعد من المواضيع الأساسية في منهج نقد التاريخ، لأنه يمكن الباحث من فهم كيف تعاملت الشعوب القديمة مع مفهوم "التاريخ" ومع عمليات التحقق، التوثيق، والسرد.

أولا: مدخل عام إلى الدراسات النقدية التاريخية في العصور القديمة

1_ تعريفها: ونعني بها محاولة تقييم النصوص التاريخية القديمة من حيث:

_ صدقها ومصدريتها.

_ مدى التزامها بالواقع مقابل الخرافة والأسطورة.

_ منهج المؤرخين القدماء في تسجيل الأحداث.

وهي شكل مبكر من النقد التاريخي، قبل ظهور علم التاريخ بالمعنى الأكاديمي.

2_ أهميتها:

_ تُمكن من فهم الوعي التاريخي المبكر عند الشعوب.

_ تساعد على تمييز الأسطورة من التاريخ.

_ تُظهر كيف كان المؤرخ القديم يستخدم النص لغرضٍ سياسي، ديني، أو أخلاقي، أو غير ذلك.

_ تمهد لظهور المنهج التاريخي النقدي في العصور اللاحقة، خاصة عند الإغريق.

ثانياً: ملامح النقد التاريخي في الحضارات القديمة

1_ الحضارة المصرية القديمة

الكتابات التاريخية كانت في الغالب نقوشا ملكية تُسجل انتصارات الفراعنة. ويغلب عليها الطابع الدعائي والأسطوري، إذ كانت تُمجد الملك بوصفه إلها أو مختار الآلهة.

النقد الحديث لهذه النصوص يكشف التحيز السياسي ويظهر غياب الموضوعية التاريخية.

أمثلة:

"نقش معركة قادش" في عهد رمسيس الثاني، الذي يُظهر المبالغة والانحياز.

"حوليات تحتمس الثالث" كمصدر لتاريخ الحملات العسكرية، لكنها تفتقر إلى التحقق النقدي.

مرجع: محمود ابراهيم السعدني، تاريخ الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.

علاء الدين عبد المحسن شاهين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، دار الفكر العربي

2_ الحضارة العراقية بلاد الرافدين (البابلية والآشورية)

النصوص التاريخية كانت على ألواح طينية (حوليات الملوك، السجلات الإدارية).

وجدت فيها بدايات التحقق الزمني والتسلسل التاريخي.

إلا أن الكتابات كانت مرتبطة بالإرادة الإلهية، إذ تفسر الأحداث على أنها قرارات الآلهة.

النقد التاريخي الحديث يكشف محاولات مبكرة لـ تدوين الوقائع، لكن دون تحليل موضوعي.

مرجع: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، دار الحرية، بغداد، 1976.

3_ الحضارة الإغريقية

يعتبر هيرودوت وثوسيديدس من مؤسسي النقد التاريخي المبكر.

هيرودوت حاول التحقق من الروايات وسماع شهود العيان، لكنه لم يتحرر تماما من الأسطورة.

ثوسيديدس مثل نقلة نوعية، حيث اعتمد على التحليل العقلاني للأحداث (خاصة في كتابه تاريخ الحرب البيلوبونيزية).

هنا بدأت الدراسات النقدية تميز بين الرواية والأسطورة وبين الحدث والتأويل.

مراجع:

هيرودوت، التواريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، دار المدى، دمشق، 2005.

ثوسيديديس، تاريخ الحرب البيلوبونيسية، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، 1958.

4_ الحضارة الرومانية

تطور النقد التاريخي إلى مستوى أدبي وأخلاقي مع المؤرخين الرومان مثل ليفيوس[1] وتاكيتوس[2].

اعتمدوا على الوثائق والشهادات، لكنهم أولوا الأحداث لتخدم الفكرة القومية أو الأخلاقية.

النقد الحديث لهذه الكتابات يركز على انحيازاتهم السياسية ورؤيتهم المركزية لروما.

مرجع: كتاب المدخل إلى علم التاريخ د. محمد صامل السلمي

محمد مصطفى زيادة، ترسيخ المدخل إلى علم التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، 1963.

5_ الحضارة الفارسية والشرقية القديمة

اعتمدت الكتابات التاريخية الفارسية على النقوش (مثل نقش بيستون[3] لدارا الأول).

تميزت بكونها مصادر ملكية ذات مضمون تمجيدي.

لكن النقد الحديث كشف قيمتها الوثائقية في فهم البنية الإدارية والسياسية للإمبراطورية الفارسية.

مرجع: عبد العزيز صالح، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، 1982.

ثالثا: أدوات النقد التاريخي في الحضارات القديمة

رغم غياب منهج نقدي واضح، إلا أن بعض المظاهر البدائية للنقد كانت موجودة:

---

[1] تيتوس ليفيوس (Titus Liviusواسمه بالإنكليزية ليفي Livy، وبالفرنسية تيت -ليف (Tite-Liveمؤرخ روماني كبير بل وأشهر من أرخ للعصر الجمهوري، الذي عايش سنواته الأخيرة وأحداثه الكبرى التي أدت إلى قيام النظام الامبراطوري الروماني. ينضوي ليفيوس تحت تراث التأريخ الحولي الروماني
https://mail.arab-ency.com.sy/details/159826

[2] **مؤرخ وسياسي روماني، بل من أعظم المؤرخين الرومانيين عبر العصور. ومن أشهر كتبه كتابي "الحوليات Annals "و"التواريخHistories "، حول حقب الأباطرة تيبيريوس وكلوديوس ونيرون وغيرهم، وهي تغطي فترة 14-96 م.**

[3] **نقش بيستون** وأيضا) **بيستون ,بيستون** أو **بيستون**)) ,(بالفارسية :بيستون ,(لغة فارسية قديمة :**نقش بيستون** ,وهذا يعني "مكان الله") هو نقش متعدد اللغات يقع في جبل بيستون في محافظة كرمنشاه في إيران، بالقرب من مدينة كرمنشاه في غرب إيران. وكان حاسما في فك رموز النصوص المسمارية. قام بتوثيق النقش دارا الأول في وقت ما بين تتويجه ملكا ل الإمبراطورية الفارسية في صيف عام 522 قبل الميلاد ووفاته في خريف عام 486 قبل الميلاد

المقارنة بين الروايات (هيرودوت).

التحقق من المكان والزمان.

تمييز المصادر الشفوية من المكتوبة.

التفسير السببي للأحداث (ثوسيديدس).

الربط بين الحدث والسياق الاجتماعي والسياسي.

رابعا: أدوات النقد التاريخي عند دراسة النصوص القديمة

1 نقد الأصل(Source Criticism)

تحديد المؤلف (أو الجهة الراعية للنقش)، زمن التأليف، والهدف.

مثال: نصوص رمسيس الثاني عن معركة قادش تُنقّش بأوامر ملكية بهدف الإعلان عن قوة الملك.

2 النقد الظاهري(External Criticism)

فحص حالة الوثيقة، خطّها، مادة الكتابة، وأساليب النسخ.

مثال: ألواح طينية من بلاد الرافدين تُظهر اختلافات لسجلات حوليات الملوك عند مقارنتها بنُسخ لاحقة.

3 النقد الداخلي(Internal Criticism)

تحليل النص داخلياً: التسلسل المنطقي، التناقضات، المصطلحات الزمنية.

مثال: مقارنة روايات هيرودوت مع روايات محلية أو أرشيفية لمطابقة التفاصيل.

4 المقارنة البينية(Comparative Corroboration)

مطابقة سجلّين مستقلّين (نقش ملكي ونص حجري تابع للخصم) أو مادة أثرية (آثار ميدانية) للتحقق من الخبر.

مثال تطبيقي: مقارنة نقوش رمسيس بأرشيف الحيثيين لإعادة بناء صورة أقرب للحدث.

5 التحليل السياقي(Contextualization)

وضع الحدث في إطارٍ اجتماعي/اقتصادي/ديني لتفسير دوافع السرد.

مثال: قراءة نصوص ما قبل التوسع الروماني لفهم كيف استُغلّت الأحداث لتعزيز شرعية الأسر الحاكمة.

خامسا: خلاصة واستنتاجات

إن الكتابات التاريخية في الحضارات القديمة كانت تعبيرا عن وعي ديني أو أسطوري بالزمن أكثر من كونها بحثا نقديا، مع ذلك، شكلت الأساس الذي بني عليه العقل التاريخي النقدي لاحقا في الحضارة اليونانية ثم الإسلامية.

الدراسات النقدية الحديثة أعادت قراءة تلك النصوص بوصفها مصادر لفهم البنى الذهنية والسياسية للشعوب القديمة، لا مجرد سجلات للأحداث.

قائمة مصادر ومراجع

هيرودوت، التواريخ، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001.

ثوسيديديس، تاريخ الحرب البيلوبونيسية، ترجمة دينا الملاح وعمرو الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2003.

طه باقر، بابل وبورسبا، دار نشر (مراجع حول بلاد الرافدين)، بغداد.

دراسات ومقالات حول نقوش معركة قادش وتحليلها في الساحة العربية والأجنبية (مقالات بحثية، دراسات أثرية).

بحوث حول الحوليات الآشورية والآشوريات في مجلات عراقية وأكاديمية.

خاتمة

تُظهر قراءة نقدية مُنظّمة للكتابات التاريخية القديمة أن النصوص ليست مجرد تسجيلات لأحداث، بل هي منتجات اجتماعية وثقافية وسياسية تُستعمل لأهداف بيانِيّة. مهمة الباحث النقدي هي تفكيك هذه الأهداف واستخراج البنية الواقعية الممكن التحقق منها، مع الإقرار بحدود كل مصدر.